أثر الطرق التجارية على الانتشار القبلي بالحجاز في عصر ما قبل الإسلام

د/ رشاد محمود بغدادي
قسم التاريخ الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

تعتبر بلاد الحجاز[1]، من المناطق الهامة في شبه الجزيرة العربية ، من الناحيتين الدينية والاقتصادية، و ليس من شك في أن مكة المكرمة، أهم مواضع الحضر في الحجاز علي الإطلاق، كما أنه علي الرغم وجود "بيوت العبادة " [2] في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، فإن واحدا منها لم يجتمع له ما اجتمع لبيت الحرام في مكة، ذلك لأن مكة إنما كانت ملتقى القوافل بين الجنوب و الشمال، وبين الشرق و الغرب، و كانت لازمة لمن يحمل تجارة اليمن إلى الشام، ولمن يعود من الشام بتجارة يحملها إلى شواطئ الجنوب، و كانت القبائل تلوذ منها بمثابة مطروقة تتردد عليها، و لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل في باديتها أو في رحلاتها، فليست في مكة دولة كدولة التبابعة في اليمن، أو المناذرة في الحيرة، أو الغساسنة في الشام، وليس من وراء أصحاب الرئاسة فيها سلطان كسلطان الروم أو الفرس أوالأحباش، أو الإمارات والدويلات العربية المتفرقة على الشواطئ أو بين بوادي الصحراء، وإنما كانت مكة بمثابة عبادة و زعامة تجارية [3]، ولا شك أن مدن الحجاز، وخاصة مكة المكرمة، كانت كجزء من بلاد العرب، استقبلت هجرات سابقة تعدد فيها أنواع المهاجرين من عناصر بشرية تعددا لانستطيع تعيينه، وتاريخ مكة بدءا من بني إسماعيل و حتى عهد قصي بن كلاب [4] ، غامض غموضا شديدا، و لا يعرف حتى المؤرخون العرب كيف يملأون فراغ هذه القرون الطويلة [5] ، لأن المصادر التي توسعت في ذلك لا يمكن التسليم بما كتبت تسليما قاطعا، ولا تبزغ شمسهم مشبعة بالغيوم — فوق أفق التاريخ الحقيقي، إلا من

---

[1] عبد المحسن الحسيني : " الأقسام الجغرافية لجزيرة العرب ، كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٢ – ١٩٥٣ ، ص ١١٤ – ١٢٨ .

[2] أنظر عن هذه البيوت : ياقوت ٢٢٨/١ ، ٤٢٧/٣ ، ٣٩٤/٤ – ٣٩٥ ، ٢٦٨/٥ – ٢٦٩ ، وكذا الأصنام ص ٣٨ .

[3] عباس محمود العقاد : مطالع النور — أو طوالع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ . وكذا محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ،الطبعة الثانية، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٣٩١ – ٤١٦ .

[4] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٢/٢ وكذا المسعودي : مروج الذهب ٣١/٢ .

[5] أحمد محمود صبحي : مكة المكرمة ، أسماؤها وتاريخها ، الإسكندرية ١٩٩٥م ، ص ٥٩ – ٨٤ .

عهد قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي، و لقد تركت لنا مصادر التاريخ أخبارا لا تخلو من الغموض و الاضطراب عن القبائل التي سكنت مكة وبقية بلاد الحجاز ، و لعل أقدم هذه القبائل ، تلك المعروفة بالعماليق [1] ، حيث ينسبهم الإخباريون إلى "عملیق بن لاوز بن إرم بن سام بن نوح " [2] ، ويبدو أن العماليق دفعت بموجات من القبائل، التي امتدت في بلاد الحجاز، دون أن تقتصر على مكة فقط، بل يثرب (المدينة المنورة) وباقي من الحجاز، و أنهم قد عاثوا في الأرض فسادا [3] .

تسامعت جرهم [4] بخبر تفجر بئر زمزم، و لزم الطير الوادي، حيث رأت الماء، ولما كانت جرهم تمكن على مسافة قصيرة من مكة، فقد استأنست لتتنقل ببيوتها حول البئر، و التي تولى مضاض الجرهمي أمر الحرم بعد ذلك، و أبناء إسماعيل مع أخوالهم لا يرون أن ينازعوهم الأمر، لخؤولتهم و قرابتهم، و إعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال، إلى أن قدمت قبائل الأزد مهاجرة من جنوب غربي شبه الجزيرة العربية، في فترة لا نستطيع تحديدها على وجه اليقين، ونازعت واحدة من هذه القبائل (خزاعة) جرهم أمر البيت في مكة [5] ، حيث

---

[1] يبالغ الإخباريون في أعمية العماليق وسعة إنتشارهم بدرجة لا يمكن أن يقبلها منطق أو يقرها عقل ، فيجعلونهم أمما كثيرة تفرقت في البلاد فكان منهم أهل عمان والحجاز والشام ومصر ، فضلا عن أهل المدينة ويثرب هف وبلو مطر وبنو الزرق وسعد بن زهران، وأهل نجد ، وبدول ورلط وغفار وتيماء ، هذا إلى جانب شعبة منهم ذهبت إلى صنعاء قبل أن تحمل الأخيرة اسمها هذا ، ولم يرا فقد كان منهم الجبارة بالشام – وهم الكنعانيون – والفراعين بمصر ، والأرقم ملك الحجاز بتيماء . انظر :

الهمذاني : الإكليل ١/٧٤-٧٧؛ تاريخ الطبري ١/٢٠٧ ؛ نهاية الأرب للقلقشندي ص ١٤٤ ؛ جواد علي ١/٣٤٦ ؛ محمد بيومي مهران: المرجع السابق ، ص ١٧٦ –١٧٧ .

[2] الهمذاني : الأكليل ٢/٤١٠ ؛ تاريخ الطبري ١/٢٠٧ ؛ المعارف : ص ٢٧ .

[3] ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٠ وما بعدها .

[4] ينظر الاخباريون الى جرهم على انهم طبقتان الواحدة من العرب البائدة وكانت في مكة المكرمة ، على عهد عاد وثمود والعماليق ، ثم أبيدت بأيدي القحطانيين ، والأخرى من جرهم بن قحطان بن هود ، وقد كانوا أصهارا لإسماعيل عليه السلام . انظر:

الهمذاني : الإكليل ١/٧٨ ، ١٦٦؛ نهاية الأرب للقلقشندي ص ١٩٦ ؛ المعارف ص ٣٤ ؛ تاريخ الطبري ١/٢٥٦ ، ٣١٤ ؛ سعد زغلول عبدالحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ١٢٧ – ١٢٩ . وكذا محمد بيومي مهران : المرجع السابق، ص١٧٦ .

[5] أحمد السباعي : تاريخ مكة ، الجزء الاول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٨ – ١٩ . انظر عن خزاعة وأصولها : القلقشندي : شفاء الغرام ٢/٧١- ٨١ ؛ حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٧٥-٧٦ .

انتهى أمر مكة بعد فترة إلى عمرو بن لحـــى الخزاعـي [1] .

يتضح لنا أن مكة، كانت هدفـا رئيسـيا لتلـك الـهجرات إليـها، و ذلـك لمـا تتمتع به كموقع جغرافي سببا في أن يجعل مـــن المدينـة المقدسـة عقـدة تتجمـع فيها القوافل، فضلا عن السيطرة على طـــرق القوافـل [2] .

يعطي الباحث هنا لمحة موجزة عن الطـــرق التجاريـة البريـة القديمـة [3] ، و التي كانت بطول شبه الجزيرة العربية و عرضـــها، أمـا الطولية، فأهمـها الطريـق الجنوبي الشمالي، و الذي يطلق عليـــه أحيانـا "الطريـق التجـاري العظيـم "، و أحيانـا أخرى " طريق البخور_الذهب " . و هو الطريق المـوازي تقريبـا للبحـر الأحمـر مـن أقصى الجنوب [4] ، حيث يبدأ في الواقـع مـن عـدن وقنـا و مـأرب، حيـث تجـارة البخور، ثم يتجه إلى نجران، فالطائف مارًا بمكـة، ثـم يتجـه إلـى يـثرب وخيـبر ثـم الحجر(مدائن صالح) و منها إلى إيلة (العقبـة)، ثـم بعـد ذلـك إلـى البـتراء ، حيـث

---

[1] ساد قومه في مكة المكرمة ، والذي بلغ في مكة من الشرف ولم يبلغه عربي قبله ، وكان اول من أطعم الحاج بمكة سدايف الابـل ولحمها على الثريد ، وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة ألوف من برد اليمن ، وكان قوله فيهم دينا متبعا لا يخالف وأنـه كان اول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الاوثان ، وبحر البحيرة وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة، وحمى الحمـى . انظر :

الاصنام ، ص ٨ ؛ ابن هشام ٧٨/١ ؛ اليعقوبي ٢١١/١ ؛ المسعودي : مروج الذهب ٢٩/٢ -٣٠ ؛ احمد السباعي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ وكذا أحمد محمود صابون : المرجع السابق ، ص ٧٧-٧٨ .

[2] Watt W. M., Muhammad at Mecca, Oxford, 1953, p.3.

[3] لمزيد من التفاصيل . انظر :

جواد علي ٣١٧/٧ - ٣٦٤ وكذا

منذر البكر : " العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور الى نهاية العصر الروماني " ، المورد ، العدد ٤ ، السنة الثالثة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ٤٨ - ١٠٤ وكذا

رضا جواد الهاشمي: " تجارة القوافل في الخليج العربي " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٤٠٤ هـ /١٩٨٤ م ص ٧-٢٨ وكذا

لحسان عباس :" العلاقات التجارية بين مكة والشام حتى بداية الفتح الإسلامي "، مجلة الابحاث ، السنة٣٨، الجامعة لامريكية ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ٣-٤٠ .

[4] لقد كان الطريق البري هذا أقدم وأهم من الطريق البحري ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عاملين أولهما ، أن العرب بطبيعتهم كانوا ، بالدرجة الأولى ، تجار بر ، لا تجار بحر ، وثانيهما ، عدم صلاحية الشاطئ الأمـوي للبحر الأحمر لقيام الموانيء عليه بالنسبة للساحل الافريقي ، ولذلك لا نجد الا ميناءا واحدا اشتهر كميناء عربي قديم وهو ميناء " موزا " (مخا الحالي تقريبا) . انظر :

عبدالمنعم عبدالحليم سيد : " البخور حسب تجارة البحر الأحمر في العصور القديمة " ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، المجلد الثاني ، جدة ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م ، ص ١٥٧ .

يتفرع الطريق هنا إلى فرعين ، أحدهما إلى تدمر في الشمال ، والآخر إلى الغرب مع ميل طفيف إلى الشمال الغربي ، حتى يصل إلى غزة [1] .

أما العرضية ، فقد عرفت شبه الجزيرة العربية أربعة منها ، على الأقل ، (الاولى) منها ، الطريق ، الذي يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية ،وخاصة حضرموت ومنطقة عمان ، حيث يبدأ من الخليج متجها شمالاً بغرب ماراً بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد ، فمنها بعدئذ ، إما إلى الشمال في اتجاه العراق ، وإما إلى بادية الشام [2] . أما (الثاني) ، فينطلق من القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ، بدءاً من مأرب ، ومنها إلى نجران ثم شمالا شرقيا في وادي الدواسر ، حيث يمر بقرية الفاو ، ومن هناك يتجه الطريق إلى الأفلاج فاليمامة ، أو عن طريق واحة يبرين ــ على مبعدة ٣٠٠ كيلومتر ، جنوب غرب الهفوف ــ ثم واحة الهفوف ، فهجر ، على ساحل الخليج العربي[3]. أما (الثالث) ، يخترق شبه الجزيرة العربية عرضاً ، بدءاً من مكة و ينتهي إلى وادي الرافدين . غير أنه في وسط المسافة تقريباً ، عند حائل ، يتفرع الطريق إلى فرعين في هذا الاتجاه، أحدهما يصل إلى مصب الفرات ، والآخر يصل إلى بابل [4] . أما (الأخير) ، فقد كان عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي ، ويبدأ من منطقة حضرموت وعمان متجها إلى منطقة اليمامة،صاعداً إلى بلاد الشام أوالعراق، حيث يلتقى بالطريق الشرقي ويفرع الطريق الغربي [5].

لقد زادت أهمية مكة وقيمتها التجارية ، إن اليمن ــ بعد الاحتلال الحبشي في ٥٢٥ م ــ لم تنجح في سد الفراغ الذي تركته البحرية الرومية ، ربما

---

[1] لطفي عبدالوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٣١٤ .

[2] محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

[3] المرجع نفسه ، ص ١٣٥ .

[4] غير أنّ هذا الفرع الأخير ، أصبح طريقا رئيسيا للحج والتجارة في العصر الإسلامي تحت اسم "درب زبيدة" والذي يصل الى المتحف بجوار بابل ، ولكن يبدو مؤكدا أنه كان موجودا ومستخدما قبل ظهور الإسلام . أنظر :

لطفي عبدالوهاب يحيى : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

[5] عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية " ، مجلة الدارة ، العدد الاول ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م ، ص ٨٧ .

لظروف جغرافية أكثر منها سياسية، ثم فقد أصبح الطريق البرى ـ عبر تهامة والحجاز ـ هو الطريق المفتوح أمام التجارة ، وكان لابد ـ بعد زوال النشاط اليمنى ـ أن يوجد من يسد هذا الفراغ ويقوم بدور الوسيط المحايد بين المتنازعين ، لنقل التجارة . وقد جاء هذا الوسيط ممثلا في مكة ، الذي حظيت منذ منتصف القرن الخامس الميلادي ، بمكانة ممتازة بين عرب الشمال ، فضلا عن طرفي الصراع الدولي (الفرس والروم) وقت ذاك ، وساعد على ذلك رغبة الفريقين المتنافسين في وجود مثل هذا الوسيط المحايد من ناحية ، وبعد مكة وصعوبة الوصول إليها من ناحية أخرى [1].

ظل أمر مكة في يد عمرو بن لحى وولده مدة حكمهم ، حتى آل أمر مكة إلى قصي بن كلاب،وإليه يرجع الفضل في جمع أفراد قريش المبعثرين في نواحي متعددة إلى وادي مكة ، وجعل لكل بطن منهم حيا خاصا على مقربة من الكعبة ، فاستحق بذلك لقب "المجمع" [2] .

إن قريشا [3] في انتقالها من البداوة وحياة الظعن إلى الاستقرار والحضارة في مدينة لم تتحول إلى مجتمع مدني ، بل حافظت على نظامها القبلي ، التي لم تكن سوى مرحلة أكثر نضجا فى مكة ، والتى كان للجراهمة والخزاعيين دور كبير فى تحضيرها وتطوير أنظمتها السياسية والاقتصادية . لقد كان للخزاعيين دور بارز فى محور التطور لزعامة مكة فى بلاد الحجاز ، فقد مثلت الحقبة الخزاعية ، التى كانت من أطول عهود مكة قبل الإسلام [4] ، الدور التأسيسى الأول فى شخصية هذه الأخيرة، التى تبلورت إبان الحقبة القرشية . وعلى الرغم من اشتداد المنافسة على النفوذ فى مكة ، فقد صمدت خزاعة طويلا واحتفظت بالزعامة المطلقة ، حتى

---

(1) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة: ١٩٦٥ ، ص ١٥٤ وكذا محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤١٤ وكذا

Huzayyin,S.A.,Arabia and the Far East, Cairo , 1942, p.142 f;
Gibbon, E., The Decline and Fall , of the Roman Empire,London,1950 p.213.

(2) محمد الطيب النجار:" أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية و الإسلام " ، مؤتمر قضية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، القاهرة ٢٣ - ٢٥ ربيع اول ١٤٠٨ هـ /١٥-١٧ نوفمبر ١٩٨٧ ، ص ٦٣.

(3) أنظر عن قريش : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٣ .

(4) يقدرها المسعودى بثلاثمائة سنة . أنظر مروج الذهب ٢/٣٢ .

انتقلها إلى قريش ، بعد أن قادها قصي بن كلاب إلى السلطة بصعوبة تمهيداً لذلك بالزواج من ابنة حليل بن حبشية ، وحليل هو آخر من ولي البيت من خزاعة ، فرغب فيه حليل فزوجه ابنته فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، عبدالعزى ، وعبداً [٣]

فلما اشتد ساعد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبزعامة مكة حيث انتقلت إليه الزعامة بصورة شبه وراثية ، ومن ثم فقد عمل على جمع قومه وأمرهم أن يبنوا بمكة بيوتاً ، وأن يسكنوها . وقال لهم : إنكم أن سكنتم الحرم وحول البيت ، هابتكم العرب ، ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد إخراجكم ، فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تابع لرأيك ، فبنوا حول البيت ، وابتدأ هو ببناء دار الندوة [٤] .

وقد ذهبت شيرة القرشيين في التجارة ومهارتهم فيها ، إلى أن هناك من يذهب إلى القول بأن قريشاً ، إنما سميت كذلك لاحترافها التجارة [٥] ، لأن القرش إنما هو التجارة والاكتساب [٦] ، كما أن رحلتهم التجارية ذكرت في القرآن الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف "[٧].

أما الطائف [٨] - المدينة القريبة من مكة - فقد كان مزيتها خاصاً [٩] قيل

---

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ص ، مرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٧٥ .

(٤) الأزرقي ، ج١ ، ص ص ١٧٠ - ١٧٢ ، وكذلك : الكازروني ، عبد الله بن عمر الكازروني : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق : حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٤٨ .

(٥) انظر : جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤ ، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٦) ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص ٣٧٣٦ ، الفيروزابادي : القاموس المحيط ، ص ٩٩٥ .

(٧) سورة قريش ، الآيات ١ - ٤ ، وانظر : الطبري ، محمد بن جرير الطبري : " الطائف قبل الإسلام بين مكة والشام حتى نهاية العصر الإسلامي " ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، الشركة الأمريكية ، بيروت ، ص ص ٢٩ - ٣٠ .

(٨) يقع الطائف على بعد حوالي ٧٠ كيلومتراً إلى الشرق الشرقي من مكة المكرمة ، على خط عرض ٢١ درجة و ١٥ دقيقة شمالاً ، وخط طول ٤٠ درجة و ٢٥ دقيقة شرقاً ، وهو يرتفع عن سطح البحر بحوالي ١٦٠٠ متر ، ويتمتع بمناخ معتدل صيفاً ، وبارد شتاءً ، وتكثر به الأمطار ، وتزدهر به الزراعة ، وتشتهر بإنتاج الفواكه ، وخاصة العنب والرمان ، وتعتبر مدينة الطائف من أقدم مدن الحجاز ، وكانت تعرف قديماً باسم وجّ ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وكانت تعرف بالطائف منذ عهد الرسول ﷺ ، وقد أسلم أهلها في السنة التاسعة للهجرة ، وفي هذا الصدد يقول الأزرقي : " وأما الطائف فإنها سميت بذلك لأن الملك لما أحاط بها سماها بالطائفة ، وسميت بها بالتوراة ، وسميت بها الطائف بقرية القرآن الكريم ، كما ذكر في كتابات شبه الجزيرة العربية ، وأشهرها نقش النمارة الكوفي ، انظر : جواد علي ، ج٤ ، ص ٢٧٥ ، وكذا :

Ostasse, F., Rock Inscriptions in the Hijaz, Cairo, 1948, P. 11

ارتباطها بثقيف [1] المعاصرة لقريش في مكة ، ولكن أخبارا قد لا يرقى كثيرها إلى الموضوعية ، تشير إلى ظهورها في زمن العمالقة ، حيث يذهب الإخباريون إلى أن اسمها القديم " وج " نسبة إلى "وج" أخو " أجأ " الذي سمي به أحد جبلي طيء ، وهما من العماليق [2] ، على أن هذه المدينة، التي استمدت قوتها المعنوية من توحيد الثقفيين لها [3] ، بعد جهود مستميتة ، قدر لها أن تشغل دوراً غير ثانوي في تاريخ الحجاز ، حيث كانت منذ البدء حليفة لقريش ، وقد كان بين أهل مكة وأهل الطائف تنافس وتحاسد ، حيث حاول أهل الطائف جلب قوافل إليهم، وجعل مدينتهم مركزا للتجار يستريحون فيه ، وقد نجحوا في مشروعهم هذا بعض النجاح يوم استولى الفرس على اليمن ، وتمكنوا فيه من طرد الحبش عن العربية الجنوبية في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي [4] ، فصارت قوافل الفرس التجارية ولطائم [5] ملوك الحيرة تذهب إلى اليمن وتعود منها من طريق الطائف ، ونغّصت بذلك عيش أهل مكة ، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب الفجار [6] ، التي كانت في مضمونها تهديداً للتجار الذين سلكوا هذا الطريق ، كما أن أهل مكة تمكنوا من التغلغل إلى الطائف ومن بسط سلطانهم عليها ، بإقراض سادتها أموالا وبشراء الأرضين ، فبسطوا بذلك سلطانهم عليها ، أقاموا بها أعمالا اقتصادية خاصة

---

[1] المعارف ، ص ٩١ .

[2] ياقوت ٩/٤ ، ١٢ ، تاج العروس ١٨٤/١ ؛ المقدسي ١٠٩/٢ ؛ البكري ٨٨٦/٣ .

[3] يشير الاخباريون إلى أن أول من سكن الطائف إنما هم العماليق ، ثم غلبهم عليها قيس بن عيلان بن مضر ، ثم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوازن ، ثم لحقتها ثقيف . انظر : المعارف ، ص ٩١ ؛ تاج العروس ١١٠/٢ .

بينما يزعم آخرون أن الذين سكنوا الطائف بعد العماليق ، إنما هم قوم ثمود قبل ارتحالهم إلى الحجر ووادي القرى ، فيما بين الحجاز والشام ، ومن ثم فقد ربط أصحاب هذه الرواية نسب الثقفيين بالثموديين ، الذي نسبهم إلى جد أعلى هو " ثقي بن منبه " ، الذي يجعله بعضهم من "إياد" ، بينما يجعله البعض الآخر من " هوازن " . انظر : الأغاني ٧٤/٤ ؛ تاريخ ابن خلدون ٢٤/٢ ؛ نهاية الأرب للقلقشندي ، ص ١٨٧ وكذا :

Montgomery , j . A , Arabia and the Bible , Philadelphia , 1934 , p. 137.

[4] محمد يومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٨٥ - ٣٨٩ .

[5] اللطائم هي العير التي تحمل الطيب، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ٥٤٣/١٢-٥٤٤ .

[6] عن حرب الفجار ، انظر : البكري ١٥/٢-١٦ وكذا شفاء الغرام ١٤٨/٢ -١٥٠، ١٥٥ وكذا دراسة حديثة انظر : عبدالجبار ناجي العبيدي : " حروب الفجار أسبابها ونتائجها " ، المؤرخ العربي ، العدد العاشر ، بغداد ١٩٧٩ ، ص ١٣٤-١٤٦ .

ومشتركة . وهكذا استغل أنكياء مكة هذا الوضع المهم وحولوه إلى مكان صار في حكم التابع لسادات قريش ، أو بمعنى أن تقيف لا تلبث أن تعود إلى الاعتراف بصدارة منافستها قريش، كحليفة لها [1] . كما أن اسمها يقترن عادة بمكة المكرمة، فيقال مكة من الطائف ، والطائف من مكة ، ومن ثم فقد تسميتا " القريتين" من قوله تعالى : "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " [2] .

ويبدو أن وحدة المصالح بين القبيلتين المتحالفتين ، قد انتهت بهم إلى إقتسام النفوذ عشية الدعوة إلى الإسلام ، فكانت لقريش السيطرة المطلقة على تجارة الشام ، بينما كانت الطائف تجارة اليمن ، تتولى مراقبتها والأشراف عليها وذلك في ظل هيمنة عامة للاولى ، لم تقتصر على الطائف فقط ولكنها امتدت حينذاك إلى مختلف الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية ، ولعل الطائف كانت تتوق إلى الحد من هذه التبعية والارتباط المباشر بالاقتصاد المكي ، حيث الطبيعة هيأت لها أسباب المزاحمة مع أندادها القرشيين ، ولكن الدهاء الذى تفوقت به الشخصية الثقفية ، سقط أمام خبرة هؤلاء وتراثهم القديم في التجارة .

أما يثرب (المدينة المنورة) [3] ، فهى ثالث مدن الحجاز ، ذات الأهمية ، بالإضافة إلى المراكز الثانوية المنتشرة حولها ، أقبلت جماعات يهودية[4]، فاستقرت في مواضع عيون ماء، كانت صغيرة ولكنها نمت مع الزمن بفضل من استقر فيها من اليهود ، وما قامت به من جهد في الزراعة والصناعة ، ومن هنا نشأت مراكز عمرانية في خيبر ووادى القرى ، ثن في فدك إلى الشمال الشرقى من خيبر في مداخل نجد [5] .

وعلى الرغم من وقوع يثرب في دائرة طرق التجارة القديمة إلى

---

[1] جواد على ٤/١٥٣ وكذا :

Lammence , H., La Ville Arabie de Taif a la ville de L' Hegire, Beyrouth,1922, p.119.

[2] سورة الزخرف : آية ٣١ .

[3] عبدالمحسن الحسين : المرجع السابق ، ص ١ ١-١٠٢ .

[4] حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز ، انظر : أحمد محمود صابون : "حول تأريخ دخول اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثان و الأربعين ، ١٩٩٤ – ١٩٩٥ ، ص ٢٠٣ – ٢٤٣ .

[5] حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٨٠- ٨١ .

الشام، فأن حظها من التجارة الخارجية كان محـــدوداً ، إذا مـــا قورنـــت بمكـــة ، حيـث كان يخالجها عدم الرضا إزاء احتكار الاخـيرة لـهـا، ذلـك الشـعور التنافسـي ، الـذى سيطبع العلاقات المستقبلية بين المدينتين مكـــة ويـــثرب.

يميل بعض الباحثين إلى إرجاع صلة اليـهود بـالعرب فـى الحجـاز بصفـة عامة ، ويثرب بصفة خاصة ، إلى عهود موغلـــة فـى القـدم [1] ، غـير أن يـهود شـبه الجزيرة العربية لم يتركوا أثرا مكتوبا يتحدث عن ماضيهم فيها ، وكـــل مـــا عـثر عليـه من نصوص معدودة وجدت فى اليمن ، لا تفصـــح عـن شـيء ذى بـال عـن اليـهود واليهودية ناهيك عن وجودهم بالحجاز ، كلك لم يذكـر أحـد مـن المؤلفيـن وكتبـة بنـى إسرائيل شيئاً عن ــ يهود عصر ماقبل الإسلام فـــى بـلاد الحجـاز ومـن ثـم فليس هناك من تاريخ اليهود فى شبة الجزيرة العربية بعامة وبـــلاد الحجـاز بخاصـــة ، إلامـا جاء فى القرآن الكريم وفـــى الحديـث الشـريف وكتـب الحديـث والأخبـار والسـير ، فمادتنا عن تأريخ اليهود فى موضوع هذا البحث لا ترتقى إلـى عـهد بعيـد عـن ظـهور الإسـلام [2] .

تتضارب أراء الاخباريين حول اليـــهود فـى يـثرب حيـث يذكـر أحدهـم [3] ، أن هناك قبائل يمنية هاجرت إلى الحجاز منها فخذان من جـذام اسـتقرت بعـد تـهودها فـى يثرب عند جبلين يحمل كلا من القبيلتين - النضـــير وقريظـة - اسـماً لأحدهمـا ، وذلـك دون أن يتعرض صاحب هذا الرأي للقبيلـة الثالثـة (القينقـاع)، التـى افتتـح الرسـول ــ صلّى الله عليه وسلم ــ معها الصراع ما بين الإسـلام وبنـى اسـرائيل فـى الحجـاز فى أعقاب معركة بدر الكبرى [4] ، وثمة مـن يذهـب[5]، إلـى أن القبيلـة الأخـيرة هـي نواة اليهود فى يثرب " وذلك لما أسنده رزين عن أبـى المنـذر الشـرقى قـال: سـمعت

---

(1)زكى شنودة : اليهود ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٦ – ٢٩ وكذا :

لاندو : الإسلام والعرب ، ترجمة منير بعلبكى ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٦ .

[2] جواد على : ٥١٣/٦ .

[3] اليعقوبى ٤٩/٢ ، ٥٢ .

[4] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ٨٠/٢ ، ٩٦ .

[5] ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٦٠ ، ٦١ وكذا السمهودى : وفاء الوفا ١٥٧/١ ، ١٦٢ .

حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة الغسلى ، قال وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن ابى عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، قال : فجمعت حديثه لكثرة اتفاقه وقلة اختلافها ، قالا : بلغنا انه لما حج موسى [1] ، عليه السلام حج معه أناس من بنى إسرائيل ، فلما كان فى انصرافهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلد نبى يجدون وصفه فى التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا فى موضع سوق بنى قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم . ورأى ثالث [2] يرى بأن يهود يثرب يمثلون هجرة لها خلفية سياسية ، وليست دينية ، عندما هربوا من الاضطهاد فى فلسطين ، الذى بلغ ذروته فى العصر الرومانى فى القرنين الأول والثانى الميلادى .

ولكى نعرف جنسية اليهود فى بلاد العرب ، فإنه من الأفضل أن ننظر فى الأخلاق والتقاليد واتجاه الأفكار والأعمال [3] ، فنجد التشابه كبيراً بينهم وبين اليهود السابقين على عصرهم أو نلحظ مواقف واحدة ، ولولا اختلاف الزمان والمكان والأحداث ما استطاع أحد أن يفرق بينهم .

أيا كانت العلاقة مع الهجرة اليمنية إلى الشمال - خاصة بعد اشتداد صراع العقائد فى الدولة الحميرية والاضطهاد المتبادل بين أصحابها - يستثنى O'Leary بنى القينقاع ، بإرجاعهم إلى أصل عربى [4] . كما يعتقد Lammence أن بعض اليهود فى الحجاز ، لا سيما "جالية الطائف" كانت نتيجة تلك الحروب الدينية ، التى اتخذت مسرحها آنذاك فى اليمن [5]، بعد أن فشل الملك الحميرى ذى نواس [6] فى

---

[1] اختلف المؤرخون فى تاريخ زمان موسى عليه السلام ، وخروج بنى إسرائيل من مصر ، والفرعون الذى عاصر موسى ، عليه السلام، بين أن يكون أحمس الأول أو والده أمنحتب الأول أو توت عنخ آمون أو رمسيس الثانى أو مرنبتاح أو فى أسرات الأسرة التاسعة عشرة أو أوائل الأسرة العشرين . انظر : محمد بيومى مهران : إسرائيل ، الكتاب الاول - التاريخ ، الإسكندرية ١٩٧٨ ، ص٣٥١ - ٤٣٩ .

[2] تاريخ الطبرى ٢٨٩/١ ؛ السمهودى : وفاء الوفا ١٦٠/١ .

[3] ابن هشام ١٨٣/٢ - ١٩٠ وكذا انظر عن اخلاق اليهود فى الحجاز : محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من استقرارهم ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ٤٣٨ - ٤٥٣ .

[4] O'Leary, De Lacy D. D , Arabia before Muhammad , London, 1527 , p.173

[5] Lammence, H., L'Arabie Occidentale avant L'Hejire, 1928,p.54.

[6] يذهب البعض إن الملك ذو نواس ، هو البلاذيه بهذه الحرب . انظر :

Winckler,H.,"Zur Alten Geschichte Yemens and Abessiniens",AOF , IV , 1896,p.327.

تهويد هذه الأخيرة ، الذى كان من نتائجه ما اشتهرت به نجران من الحادثة التى وقعت فيها ، حادثة تعذيب النصارى ، والمعروفة بإسم " أصحاب الأخدود"[1] وما جرت إليه من احتلال الحبشة لليمن ، مما أدى إلى إفراغ اليمن من اليهود ، وربما كان الاتجاه نحو الشمال ، هو الخيار الأفضل والطريق الأمن لهؤلاء الهاربين من الاضطهاد .

أما عن العلاقة بين يهود الحجاز واليمن ، فإن التساؤل أنه يبدو شائكا إلى حد ما ، حيث المعطيات التاريخية لا تتوفر بصورة كافية ، ولكن الفصل بين الإقليمين فى تلك المرحلة من التجاذب السياسى والبشرى والعقائدي ، قد لا يتفق وطبيعة تلك التطورات ، التى شهدتها المنطقة الجنوبية الغربية من شبهَ الجزيرة العربية ، منذ بدايات القرن السادس الميلادى ، ولعل أبرز مؤشرات هذه العلاقة ، ما ورد فى المحبر [2] ، من هجرة يهودية من أرض الحجاز إلى اليمن فى فترة سابقة على حملة الحبشة ، التى يفترض أنها اضطهدت اليهود والمتهودين ودفعت بقسم منهم ، على الأرجح ، نحو الحجاز ، حيث نزلوا فى أحياء خاصة بهم فى يثرب وبعض المراكز الأخرى ، أو فى نطاق " جاليات " تجارية فى المدن المزدهرة كالطائف ، وتجمعات زراعية فى الواحات الخصبة من هذا الإقليم [3] . ما نلاحظ أحد وجوه هذه العلاقة فى فقدان الموقف اليهودى بعض تماسكه فى يثرب من طبيعة أية جماعات مهاجرة من أوطانها بسبب ضائقات اقتصادية كالاوس والخزرج أن تتودد وتتقرب إلى يهود يثرب ، إلا أن اليهود بعد أن قطعوا التحالف ، فإن الوئام والائتلاف بين الطرفين بدأ يتغير ويتبدل نحو الأسوء [4] حيث يقرر البعض [5] أن بطون الأوس والخزرج لم تصارح اليهود بالعداوة إلا بعد النكبة التى حلت باليهود

---

(١) انظر دراسة عن أصحاب الاخدود :

محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) فى بلاد العرب ، الرياض ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م ، ص ٣٥٥-٣٦٩ .

(٢) ابن حبيب (ابوجعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمى) : كتاب المحبر ، حيدر اباد الدكن ١٩٤٢ ، ص ٣٨٦ .

(٣) السمهودى : وفاء الوفا ١/١٦٢ وكذا :

Lammence , H., op.cit.,p.p 67, 96.

(٤) محمد رشيد الحبلى : اليهود فى شبه الجزيرة العربية ، عمان ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٦٤ .

(٥) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، القاهرة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧ م ، ص ٦١ وكذا :
Greatez, H., The History of the Jews, III , Philadephia,1956, p.p .67,81,410.

فى اليمن ، إذ لا يتصور أن يضطهد اليهود فى الحجاز فى العصر الذى كان فيه ملوك متهودون يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم ويناهضون كل من يناهضهم أو يتعدى عليهم ويؤيد ذلك من أن الحجاز الشمالية كانت فى شبه تبعية لليمن فى عصر وجود حمير المتهودة وأن واحداً من الأسرة المالكة فى اليمن كان يشرف على شئون الطوائف المختلفة فى شمال الحجاز ، ومن ثم فقد بقيت البطون العربية عصوراً طويلاً على موالاة ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شئ يدل على أنهم يتربصون لهم الغوائل إلى أن أخذت غسان [1] تنصب لليهود المكائد وتحرض عليهم زعماء الاوس والخزرج ليفتكوا بهم ، مما أدى إلى إختلال الوضع الداخلى لمصلحة العرب ، وإفساح المجال أمامهم لتدعيم نفوذهم كقوة أساسية منافسة لهم فى المدينة [2] . كان من البديهى أن تنعكس سلبيات الهجرة العربية بدورها على موقع اليهود فى الحجاز ، حيث كان لهذا الإقليم نصيب غير قليل منها ، فأسهم ذلك فى ازدياد الشعور بالعزلة لدى هؤلاء والخوف على مصيرهم القلق ، والتى دفعتهم بالتالى الى الشقاق والاقتتال [3] .

يبدو الترجيح أن يهود اليمن ، الذين وفدوا إلى يثرب والمراكز المجاورة لها ، لا يؤدى حكماً الى وضوح انتمائهم الأساسى ، الذى يبقى مجرد فرضية ، بأنهم ينحدرون من خارج المنطقة ، حيث ظلوا خلافاً للنصارى ، جسماً غريباً عنها ، غير منطبعين بحياتها إلا بمقدار ما تفرضه المصلحة الخاصة ، كمحور لعلاقتهم مع القبائل العربية فى الحجاز [4] . ولعل تجربة اليهود فى يثرب تعزز هذا الاتجاه ، حول انعدام التأثر أو التأثير مع الآخرين ، بحيث أدى هذا الى

---

(1) انظر عن الغساسنة : محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، ص ٥٦١-٥٧٥ .

(2) السمهودى : وفاء الوفا ١٦٦/١ .

(3) لا شك فى ان اليهود لم يكونوا متحدين فى ميولهم السياسية والاجتماعية ، فقد كانوا فى شقاق دائم ولم تظهر بينهم الألفة الا فى أيام البؤس والشدة ، كما اتحد بنو النضير وبنو قريظة فى يوم بعاث ضد عدوهم من بنى الخزرج ، وفى يوم بعاث كان بنو قينقاع يحاربون الى جانب صفوف الخزرج ضد أبناء عمومتهم ، ولقد بالغ اليهود فى قتلهم ، لأن عداوة بنى قينقاع لبقية اليهود قديمة . انظر : محمد رشيد العقيلى : المرجع السابق ، ص ٦٢-٧٠ .

(4) Lammence,H,op.cit,p.54.

افتقاد احتمالات التعايش في المجتمع الواحد فقد ظل عرب المدينة من الاوس والخزرج وثنيي العقيدة ، شأن القبائل العربية في الحجاز ، على الرغم من التفوق السكاني ، الذي كان لوقت غير قصير معقوداً لهؤلاء اليهود [1] .

وعلى أية حال ، تبقى مسالة يهود الحجاز محاطة بالكثير من الغموض، دون ثمة ما يشير بجلاء إلى كيفية وصولهم إلى هذه المنطقة أو المصدر الذي قدموا منه ، وإذا ما سلمنا بأنهم وفدوا من فلسطين ، حسب الاعتقاد المطروح، فقد يكون بتواجدهم في شمال الحجاز ، أي تخوم الشام ، كان نتيجة عمليات الاضطهاد الروماني [2] ، كما يرجح أن فكرة إقامة الحصون والآطام [3] على قمم الجبال في شمال بلاد الحجاز إنما أتى بها اليهود من مناطق استقرارهم الاولى [4] ، الذي كثرت في جباله الحصون المنيعة . وثمة دلالة أخرى لهذه " الآطام " العسكرية، أن اليهود في الحجاز ، تفردوا بهذا التقليد الدفاعي ، ربما تحت تأثير الشعور بالخوف الذي دفعهم الى التكتل والعزلة ، في مناطق كانوا طارئين عليها ولم يطمئنوا كثيرا الى قبائلهم المجاورة لهم [5] ، حيث عاش اليهود في احياء وقرى خاصة بهم في يثرب وما حولها ، كجاليات طارئة على عادة بني اسرائيل منذ تشردهم في مختلف الأنحاء والبلاد [6] . ويستنتج ذلك من كثرة الحصون والآطام ،

---

[1] السمهودي : وفاء الوفا ١٦٦/١ .

[2] احمد محمود صبحون : المرجع السابق ، ص ٢٢١-٢٢٥ .

[3] الأطلم هي أبنية مرتفعة بنيت بالحجارة ، أنظر ابن منظور : لسان العرب ١٩/١٢ .

[4] يستدل من بناية الحصون والآطام عند اليهود في بلاد الحجاز انهم ليسوا عرباً ولا من أصل عربي ، إذ لو كانوا عرباً لكانت لهم في قبائلهم عزوة يتصرون بها على اعدائهم ، ولكان من قبائلهم نصير يحترون به ويستنصرونه ، وإنما بنى اليهود هذه الحصون وتلك الآطام ليلتجئوا إليها إذا لحز بهم امر أو أصابهم مكروه ، ولو كانوا من أصل عربي لتحصنوا بقبائلهم وأووا الى فئتهم ، ومما يؤيد ذلك انه لم يكن لليهود في يثرب والحجاز عصبه قبلية بين العرب وإنما كانت صلاتهم بالقبائل العربية صلة حلف ومصالح مشتركة ، ولذلك لم يجدوا بين قبائل العرب من يقف الى جانبهم بدافع النصبية حين حاربهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وطرد بعضهم من المدينة وقضى على بعضهم الآخر، بل أنهم حين خرجوا من المدينة لم يرحلوا إلى الشام . انظر :

أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ وكذا أحمد محمود صبحون : المرجع السابق ، ص ٢٣١-٢٣٢ . وانظر عن "الأطلم " : السيد عبيد مدني : " أطوم المدينة المنورة " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثالث ، الرياض ١٣٩٣-١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣-١٩٧٤ م ، ص ٢١٣ – ٢٢٦ .

[5] السمهودي : وفاء الوفا ١٦٦/١ ، وكذا اسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦ وكذا :

Lammence,H.,op.cit.,p.68 f.

[6] محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

التي أقامها اليهود للاحتماء بها وكانت في الغالب تحمل اسم رجل أو زعيم منهم من رجالات اليهود، أو اسم عشيرة يهودية [1] ، أو اسم وادٍ من الاودية التي يحتمون بها [2] ، أو اسم جبل من جبالها ، أو يحمل اسماً له مدلوله عند اليهود [3] .

هكذا عاش اليهود في يثرب عبر مجموعات ثلاث [4]، عرفت في التاريخ بالقبائل ، حيث كان بينها من التناقر ما شابه الصراعات القبلية لدي العرب ، ولا شك أن اختلال نفوذهم في يثرب ، كان نتيجة حتمية لوحدتهم المضطربة وإخفاقهم في تكوين جبهة سياسية متماسكة ، فهم في أكثر أمورهم كالعرب ، حيث لبسوا لباسهم وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات وتزوج العرب يهوديات ، ولعل كون بعض اليهود من أصل عربي ، هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات والعكس ، والفرق الوحيد الذي كان بين العرب واليهود عند ظهور الإسلام هو الاختلاف في الدين ، وقد تمتع اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في بلد آخر من البلاد التي كانوا بها في ذلك العهد [5] ، كما أن يهود يثرب وبقية الحجاز الذين أقاموا بين ظهراني العرب ، لم يعرفوا سوي اللغة العربية لغة يتكلمونها ، لهذا كان من الضروري أن يتعلموا هذه اللغة ، وأن يعتمدوها لغة التخاطب [6] ، حتي يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة ، التي اتخذوها دار مقام لهم .

---

[1] إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

[2] الدوار بكري : تاريخ الخميس في أحوال النفيس ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ، ص ٤٥ .

[3] إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ١٦٧ (٥) .

[4] قريظة والنضير وقينقاع ، ولكن Watt يضيف اليهم قبيلة رابعة وهي ثعلبة التي لا تعدو ان تكون فرعاً من المجموعة الاولي (قريظة). انظر :

Watt , W.M., Muhammad at Madina, Oxford 1956, p . 96.

[5] جواد علي ٦/٦٣٢ ، وكذا :

Gratez, H., op.cit., p.p .58-60 ; Watt , W.M., op.cit. p.297 .

[6] من المرجح أن هذه اللغة لم تخل من رطانة عربية ، لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً ، حيث إن اللغة العبرانية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم . انظر :

إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص ٢٠ وكذا :

محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٤٣٦ .

وعلي أيـة حـال ، فقـد جـاءت هـذه المحاولـة علـي هـامش قضيتيـن أساسيتين في حياة اليهود في الحجاز : الاولي ، مرتبطـة بـالولاء المصلحـي المطلـق ، الذي ألغي دور القبيلـة كنظـام يتعـارض والنزعـة الفرديـة المتحكمـة فـي سـلوكه الاجتماعي والاقتصادي ، والثانية ، يحركها الشعور الدائم بـالخطر ، حيـث يعيـش فـي محيط عربي ، للقبيلة فيه نظامها الجمـاعي ، وقرارهـا الالزامـي مـن حيـث المبـدأ ، ولعل ذلك كان وراء النمط الحياتي الخاص الذي فرضـه اليـهود علـي انفسـهم ، وفـي الحجاز بصفة عامة ويثرب بصفة خاصـة وانعكس علـي مظـاهر التحصيـن - كمـا ذكرنا سالفاً - في احياءهم المغلقة والمعروفـة بالأطـام .

وعلي أيه حال ، كل ذلك يفسر افتقـاد يـثرب إلـي زعامـة بـارزة علـي مستوي التنافس مع مكة المكرمة ، التي وظفـت دورهـا الدينـي فـي خدمـة مصالحـها الاقتصادية داخل الحجاز وخارجه ، بحيث كان كل مـن الدوريـن متلازمـاً مـع الأخـر ومكملاً له ، ولعل يثرب ، ربما تحت تأثير أهميتـها الجغرافيـة كمحطـة علـي طريـق الشام بعيدة عن مكة المكرمة ، كانت مؤهلـة لاحتـلال دور الشـريك لـهذه الأخـيرة إن لم يكن المنافس لها ، ولكن انطواء هذه المدينـة علـي تناقضاتـها الداخليـة واسـتمرار اليهود قوة فاصلة لوقت غير قصير ، ربمـا أعـاق اتخاذهـا اي دور دينـي رائـد فـي الحجاز ، وحالا ، بالتالي ، دون قيام مركز يهودي وثنـي فيـها ، وذلـك نتيجـة لانعـدام التجانس ، سواء في العقيدة أو في المصلحة بيـن قبـائل يـثرب .

إن صورة الوضع السكاني خارج المـدن اقـل وضوحـا ، حيـث خضعـت للتحرك القبلي المتذبذب حيناً والمتدافع حيناً آخر ، فضلا عـن أخبـاره المضطربـة فـي كتب الأنساب ، التـي تجعـل مـن التتبـع لمراكـز هـذه القبـائل وبطونـها وأفخاذهـا وعمائرها ودوائر نفوذهـا أمـرا فـي غايـة الصعوبـة ، ولابـد أن يعيدنـا ذلـك الـي المنظومة التقليدية عن التصنيف المتبع في حصـر انسـاب العـرب كلـها فـي أصليـن أساسيين قحطان وعدنان ، فاذا ذري القبائل كما يُفـهم مـن روايـات الإخبـاريين كـلاً ، تُرجع كل كتلة منها نسبها الي جد قديم تزعم ان قبائلها انحـدرت مـن صلبـه[1].

(١) جواد علي ٤/٤١٤ - ٥٤٠ .

من الواضح ان هذه الأخيرة تمثل بمـــا يسـميه علمـاء الأنسـاب بالشـجرة العدنانية ، مقتصراً في الغالب علي ذكر القبائل الكبري الممثلـــة لقبـائل الحجـاز البدويـة منها والمتحضرة علي السواء[1] . ومن ثـــم فـإن مكـة المكرمـة ، اسـتنادا إلـي ذلـك منطلق الحزب المنحدر من عدنان[2] من سلسلة تنتـهي باسـماعيل بـن ابراهيـم الخليـل – عليهما السلام – ومنه كان نزار بن معد سيد بنـي أبيـه وعظيمـهم ، ومقامـه بمكـة ، وكان له من الولد أربعة : مضر واياد – وربيعـة – وانمـار[3] ، وكـانت مضـر محـور القبائل العدنانية في الحجاز ، حيث طغت علي بقية الفـروع حتـي اندماجـها فـي فـرع قيس بن عيلان [4] ، فحملت اسمه ، الذي اصبح مرادفاً لـهذه القبـائل وممـاثلاً لـها [5].

ليس الهدف من هذه الدراسة التحدث عن مواضـــع تقسـيم القبـائل العربيـة المألوفة عند الإخباريين ، وتصنيفها جنوبية وشـــمالية ، وخصوصـاً الشـمالية ، المعنيـة بالانتشار السكاني في الحجـــاز ، ولكننـا سـنعرض فقـط المسـميات القبليـة ومراكـز استقرارها الثابتة والمتحركة في الحجاز، ومـن ثـم البحـث فـي علاقتـها مـع المـدن الحجازية والمصالح المشتركة بينـــها ، لا سـيما مكـة المكرمـة ، فالشـجرة العدنانيـة التي يزعـم النسـابون أنـها ملتقـي العـرب الحجـازيين وفروعـهم ، يكـاد امتدادهـا التسلسلي يقتصر علي مكة المكرمة ، ربما نتيجـة للـدور الجـذري ، الـذي تبـوأت بـه

---

(1) لعل هذا الفرز القبلي وما يتضمنه من تحديد عرقي ، لا يتوافق والنظريات السكانية الحديثة ، التي تراض هذا الانتماء التسلسلي في وقت لم تتوقف فيه هجرة القبائل عند حد في التحرك أو التمازج مع بعضها البعض أو مع الأخرين ، ولعل الخلفية السياسية تتخذ دوراً أكثر أهمية في الانتماء القبلي ، ذلك الذي تبلور بشكل خاص في العصر الأموي ، حيث تكرس الانقسام إلي جزأين كبيرين ، الأمـر الذي صرح به بعض النسابين المعروفين إن العرب ثلاث : نزار واليمن وقضاعة ، علي بعد المسافة الزمنية ، التي تجعل من هـذه المسألة أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد . أنظر : جواد علي ٤/٤٢٠ وكذا محمد عبدالغني سعودي : الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (بدون) ص ٥٠-٥١ .

(2) يقول بعض النسابين أن عشرون أباً بين إسماعيل – عليه السلام – وعدنان ، ولم يجمعهم أربعـون . أنظـر : اليعقوبـي ١/٢٢٢ – ٢٢٣ وكذا تاريخ ابن خلدون ٢/٢٩٨ .

(3) اليعقوبي ١/٢٢٣ .

(4) يتعدد من مضر حسب رواية النسابين : إلياس المعروف بـ عيلان ، ويري اليعقوبي أن عيلان هو ابن أخر لمضـــر . انظـر : اليعقوبي ١/٢٢٧ ، انظر عن فرع قيس عيلان بن مضر : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٥٨-٦٦ .

(5) يتصل إلياس بنصي زعم قريش عبر مدركة وخزيمة وكنانة والنضر ومالك وغالب ولؤي وكعب ومـرة وكـلاب . انظـر : اليعقوبي ١/٢٢٧-٢٢٨ وكذا تاريخ الطبري ٢/٢٦٨-٢٧٠ وكذا جواد علي ٤/٤٧٦-٤٨١ . وانظر عن فرع الياس بن مضر : حسين مؤنس: المرجع السابق ، ص ٦٦-ص٦٩ .

كمنطلق للإسلام.

وإذا صح التكوين القبلي بتفاصيله المضطربة في مكة المكرمة فثمة تكوينات[1] ، خارج هذه المدينة لا تخضع لقانون ثابت ولا تزال موضع خلاف لدي المؤرخين ، ولعل قضاعة [2] ، والتي تنتسب الي قضاعة بن عدنان [3]في رأي،أما الآخر فيري أن قضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير[4] .

وعلي أية حال ، فهي من القبائل الكبيرة في الحجاز التي تجسد عملية التماوج القبلي في هذه المنطقة ، تحت ضغط المتغيرات السياسية والاقتصادية ، التي تعرضت لها في ذلك الوقت، ويبدو أن قضاعة كانت إحدي الهجرات اليمنية المرتزقة من التجارة والدائرة في فلكها ، حيث انتشرت علي طريق القوافل [5] ، واتخذت أول مراكز نفوذها في ميناء مكة المكرمة حيث يستخدمون هذا الميناء والموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال ومصر أيضاً . ومن المعروف أن قريشاً لم تكن تملك سفنا في البحر الأحمر والأرجح انهم استخدموا سفنا كانت تعمل لحسابهم [6] . وهذا قبل أن تمتد قضاعة شرقاً إلي الحجاز ونجد وشمالاً نحو الشام ، ذلك أن بعض قبائل قضاعة الأصل ، أوردها النسابون بين القبائل الحجازية وفي طليعتها بلي [7] ، التي أقامت بجوار تيماء وجهينة [8] ، إلي الشرق منها فقد كانت منازلها في نجد، في الأصل ، وعند ظهور الإسلام كانت تقيم في الحجاز علي مقربة من المدينة بين ساحل البحر الأحمر ووادي القري [9] ، أما الثالثة فهي

---

(١) ذكر الطبري في معجمه : وتزل الحجاز من العرب أسد وعبس وغطفان وخزارة ومزينة وفهم وعدوان وهذيل وخثعم وسدوس وكلاب بن ربيعة وطي وأسد ، ص٢٢ .

(٢) ابن حزم :جمهرة أنساب العرب ٢ / ٤٤٠ – ٤٦٣ .

هناك مشكلة قضاعة وحيرة النسابين في نسبتها إلي عدنان أو قحطان ، ربما كانت دليلاً علي صحة ما يقوله ابن حزم من أن قضاعة قوم من العرب متوزعون بأنفسهم لا إلي قحطان أو عدنان . انظر : حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٣٨-٤٣ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١٥/١ ؛ نهاية الأرب للقلقشندي ، ص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٤) اليعقوبي ٢٠١/٢ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٤٤٠/٢ .

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩ .

(٦) السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٦٣-٣٦٤ .

(٧) بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . انظر : صبح الأعشى ٣١٦/١ .

(٨) جهينة بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة . انظر المصدر نفسه .

(٩) جواد علي ٤٢٥ – ٤٣٠ .

عذرة [1]، وتقع منازل بنى عذرة فى أعالى الحجاز فى جوار عدد من القبائل المنتمية إلى مجموعة قضاعة ، وتقع أرضها إلى جوار غطفان ، ومن مواضعها :وادى القرى وتبوك حتى إيلة ، أى إنها إقامة على الطريق التجارى البرى الجنوبى ــ الشمالى ، حيث نجد أن عذرة لها علاقات ودية مع مكة [2] ، على غرار القبائل المقيمة على امتداد هذا الطريق أو بجواره، بعد أن أصبح مصدر ارتزاقهم الرئيسى وثمة قبيلة رابعة ، تنسب أيضا إلى قضاعة وهى كلب [3]، التى انتشرت فى جنوب الشام حتى أعالى الحجاز ، وذلك بتأثير الدوافع نفسها للتحركات القبلية، فى المنطقة ، ومع الطموح إلى القيام بدور أشد خطورة ، وهو التحكم فى نهاية الطريق التجاري وسوقه الكبرى فى بُصرى [4] ، التى يلتقي عندها خطا الحجاز والخليج [5] ، وكانت دومة الجندل [6] ، حيث مركز هذه القبيلة من أهم الأسواق التجارية بعد بُصرى ، وتميزت بأنها سوق موسمي كان يؤمها التجار للتبادل، حيث كان التجار ينزلونها أول يوم من شهر ربيع الأول ، يجتمعون فى أسواقها للبيع والشراء والتبادل [7] .

تفرعت من قضاعة قبائل سبعة ، هى : نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة ، وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن

---

(١) عذرة بن هزيم بن زيد بن ليث بن سعود بن أسلم بن الحافى بن قضاعة . انظر صبح الأعشى ٣١٦/١ - ٣١٧ .

(٢) جواد على ٤٣١/٤ - ٤٣٢ .

(٣) كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة . انظر :
صبح الأعشى ٣١٦/١ ؛ نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٦٥ .

(٤)تردد ذكر بُصرى فى كثير من أشعار العرب فى الجاهلية ، وكانت بُصرى مدينة شديدة الحصانة والمنعة ، تقود بموقعها كمرقب ومحرس لبلاد الشام ، وكانت تؤلف المحطة التجارية الأخيرة لقوافل قريش ، والسوق الكبرى للغلال بالنسبة للحجاز ، كما كانت تشتهر بأسلحتها ودروعها ، وكانت أسواق بُصرى تعقد خارج أسوارها ، وقد قصدها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو صغير مع عمه أبو طالب ، فيما اشتغاله بالتجارة الى الشام . انظر : ابن هشام ١٩٢/١ وكذا السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٣٥٨ ــ٣٥٩ .

(٥) لويس لوشيالد : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٦ .

(٦) أدوماتو ، وفى التوراة دومة ، وفى جغرافية بطليموس Adomatho (Dumatha) ، أما فى المصادر العربية فسميت دومة الجندل ، نسبة الى دوم (او دومان أو دومة أو دوماء) ابن إسماعيل ابن إبراهيم الخليل ــ عليهما السلام ــ وهى الآن فى الجوف . انظر ياقوت ٤٦٨/٢ ــ ٤٨٧ ؛ البكرى ٥٦٥/٢ ؛ لويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ١٩٥٢ ، ص ٦٧ .

(٧)جواد على ٣٣١/٧ .

قضاعة ، وعذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وسليم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكلب بن وبره بن تغلب بن حلوان ، وتنوخ وهو مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبره بن تغلب بن حلوان، فهذه جماهير قضاعة [1] .

إن أكثرها شهرة تلك التى مر ذكرها حيث تعايش بعضها مع اليهود فى وادى القرى كبنى جهينة ، والأخرى امتدت على طريق الشام ، فضلاً عن مجاورته للاثنين معاً ، كبنى عذرة ، والذين توغلوا فى أعالى الحجاز حتى جنوبى الشام ، كبنى كلب ، وهذه التكوينات القبلية سواء كانت هجرة يمنية [2] ، غير بعيدة العهد ، حيث تفرق أهل اليمن فى البلاد وخروجهم من ديارهم بسبب سيل العرم [3]، أو أنها انتسبت إلى الشجرة العدنانية ، فيما يزعم النسابون ، ابن نزار بن معد بن عدنان ، وكان نزار يكنى أبا قضاعة [4] .

يتضح أن مواقع نزول القبائل ، ربما أدى إلى كشف نمط حياتها الذى كان أقرب إلى الاستقرار منه إلى التنقل من مكان لآخر ، وهذا يعنى أن مصادر عيشها ارتبط عضوياً بأنظمة مستقرة من الناحية الاقتصادية ، سواء فى محطات ثابتة على الطريق التجارى التقليدى ، أو فى المناطق الزراعية التى أقامها اليهود فى يثرب ومجاورتها .

تعد قبيلة جذام ، التى تنسب إلى عمرو بن عدى بن الحارث بن مرة ، وكانت ديارهم حوالى أيلة من أول أعمال الحجاز إلى ينبع من أطراف يثرب ، وكانت لهم رياسة فى معان وما حولها من أرض الشام [5] ، وهى من القبائل اليمنية ، والتى كان لها تأثير فى الحياة السياسية والاقتصادية بالحجاز .

---

(١) اليعقوبى ١/٢٠٢ – ٢٠٣ .

وردت عند القلقشندى مع شىء من الاختلاف : بلى ، جهينة ، كلب ، عذرة ، بهراء ، لخم ، جرم . انظر : نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ١٧٠-١٧٢ ، ١٩٤ – ١٩٦ ، ٢٠٤ – ٢٠٦ ، ٣٢٦ ، ٣٥٦ ، ٣٨٥ – ٣٨٦ .

(٢) اليعقوبى ١/٢٠١ ، ٢٠٣ .

(٣) انظر عن سيل العرم : محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) فى بلاد العرب ، ص ٣٤٧ – ٣٥٢ .

(٤) اليعقوبى ١/٢٠٢ .

(٥) اليعقوبى ١/٢٠٢ ؛ نهاية الأرب للقلقشندى ص ١٩١ – ١٩٢ وكذا جواد على ٤/٤٦٢ – ٤٦٣ .

أما عن القبائل العدنانية [1] ، فى الحجاز ، فهى مضر بن نزار وقيس إبن عيلان [2] ، وتتصدر بنى مضر قبيلة كنانة ، التى تنسب إلى مدركة بن إلياس إبن مضر [3] ، وإليها انتسبت قريش ، وتليها هذيل ، والتى تنتسب إلى مدركة بن إلياس بن مضر [4] ، والتى كانت ديارها بجبال السروات ، وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف ، ولهم أماكن مياه فى أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة [5] .

أما التى تتصدر قيس ، فهى قبيلة غطفان [6] ، والتى تنتسب إلى سعد بن قيس بن عيلان والتى تفرعت بدورها إلى ثلاثة قبائل : أشجع وعبس وذبيان [7] ، وتقع منازلهم شرقى خيبر وحدود الحجاز إلى جبل طيء [8] ، ثم انتشرت بعد تفرعها ، حيث أشجع ، مابين ضواحى يثرب ، أما عبس فقد كانت إلى الشمال الغربى من أشجع ، أما الأخيرة ، ذبيان ، فقد كانت فى وادى القرى ونجد [9]، وبين هذه الأخيرة تفرعت منها فزارة ، التى كانت على عداوة تقليدية مع عبس [10]، وتقع مواطن فزارة بنجد وبوادى القرى ، انتشروا بعد ذلك فى مواطن أخرى[11] .

---

(١) انظر عن نسب عدنان : المعارف ص ٦٣ .

(٢) يرى بعض النسابين انه ابن آخر لمضر ، ولكن يجعله خفياً له . انظر : اليعقوبى ٢٢٦/١ - ٢٢٧ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ٢٣/١ ؛ نهاية الأرب للقلقشندى ، ٣٦٦ .

(٣) تاريخ الطبرى ٢٦٦/٢ ؛ نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٦٦ .

(٤) نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٨٧ .

(٥) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٦) هى قبيلة كبيرة معروفة ، وهناك قبيلة أخرى تسمى بـ (غطفان) ، كذلك ، وهى يمانية ، تنسب إلى غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام . انظر : جواد على ٥٠٨/٤ .

(٧) البلاذرى : أنساب الأشراف ١٤٢/١؛ نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٤٨ .

(٨) جواد على ٤٧٦/٤ .

(٩) السهيلى : الروض الأنف ١٢٣/١ .

(١٠) قامت بينهما الحرب الشهيرة بـ " داحس والغبراء " ، والتى وقعت بين عبس وذبيان ، وكانت الحرب بينهما سجالاً وانتهت بصلح ، وداحس والغبراء أسماء فرسية لقيس بن زهير ، وتشتمل هذه الحرب على أيام المرقب وذى حسماء والريسرية والهباءة وفروق وقطن. انظر : نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٤٠٥ (٣) ؛ جواد على ٥١١/٤ وكذا سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ .

(١١) تشعبت فزارة إلى خمسة فروع وهى : عدى ، ظالم ، شمخ ، مازن ، سعد ، وهذه الأخيرة يشير إليها جواد على بـ مرة ، التى ينسبها القلقشندى إلى هذه القبيلة . انظر نهاية الأرب للقلقشندى : ص ٢٦١ - ٢٦٨ ، ٢٨١ ، ٢٩٨ ، ٣٢٢ - ٣٢٥ ، ٣٦٨ وكذا جواد على ٥١٢/٤ - ٥١٣ .

هناك من القبائل التى تنتسب إلى قيس بن عيلان ، قبيلة بنو سليم ، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ، وقد كانت منازلهم فى عالية نجد بالقرب من خيبر ، حيث منازلهم حرة سليم وحرة النار ووادي القرى وتيماء ، وهى أرض شديدة الخصوبة وكثرة معادنها ، وكانوا على صلات حسنة باليهود ، كما كانوا على صلات وثيقة بقريش ، وقد تحالف معهم أشراف مكة وكبارها لما لهم من علاقات اقتصادية بهذه القبيلة [1] ، وينسب إلى هذه القبيلة بنو زغبة (زغب) ، وهى بطن من بهثة من بنو سليم العدنانية ، وهم بنو زغب بن مالك ابن بهثة ، وكانت ديارهم بين الحرمين ، مكة ويثرب ، ثم انتقلوا إلى المغرب فسكنوا شمال أفريقية [2] .

أما الثانية ، فقد كانت قبيلة بنى هوزان ، وهى بطن من قيس عيلان العدنانية ، وهم بنو هوزان بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس عيلان [3] ، وقد تفوقت على الاولى ، من حيث الشهرة والكثافة فى عددها ومدى انتشارها ، حيث اقامت فى نقاط عدة متفاوتة الأهمية على تخوم نجد واليمن ، فضلاً عن مركزها الرئيسى فى نواحى الطائف ، ولقد أعطاها هذا الموقع الوسط على مقربة من قبائل ذات نفوذ كبير مثل قريش وثقيف وكنانة ، دوراً غير هامشي فى الأحداث التى مرت بالحجاز ، التى سبقت الإسلام أو التى عاصرت بداياته الاولى ، فثمة أخبار عن حروب ثقيف ، حيث نجد ثقيفاً تهاجم فيها فى الطائف ، فتضطر عندئذ للدفاع عنها[4] ، ربما كان محورها الصراع على النفوذ فى هذه المنطقة الحساسة التى وُصفت بأنها قلب شبه الجزيرة العربية فى ذلك الوقت ، ولكن محاولات قبيلة هوزان آلت إلى فشل وهزيمة ، وإلى اعتراف بسيادة قريش وتحالفها مع ثقيف ، ومن ثم إلى ارتباط بشبكة المصالح القرشية ، الثقفية المشتركة[5] .

---

(١)نهاية الأرب للقلقشندى ص ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ السهيلى : روض الأنف ١/١٩٨ ، صبح الأعشى ١/٣٤٥ - ٣٤٦ ؛ جواد على ٤/٥١٨ .

(٢)نهاية الأرب للقلقشندى ، ص٢٥١ وكذا سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٣)نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٩١ .

(٤)ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ١/٥٨٨ ؛ السهيلى : الروض الأنف ١/٢١٠ ؛ صبح الأعشى ١/٣٤٦ ؛ جواد على ٥١٧ .

(5) Lammence, H.,La Mecque a La Veille de L'Hegire,Beyrouth,1924, p.177.

أما الأخيرة ، فقد كانت قبيلة بنى عامر، التى تنتسب إلى عامر بن هلال بن صعصعة ، وهم بطن من هوازن العدنانية [1] ، ولقد ذهب رأى [2] ، الى احتمال كون بنى عامر هم (Hamirinoel) , (Hamirou) , (Hamirei) ، وتقع منازلهم بين منازل قبائل هوازن وثقيف ، ولهم مع القبائل الأخرى حروب عديدة [3] .

بالإضافة إلى ما سبق ، فهناك ثمة قبائل أخرى عدنانية قد لا يكون نتبعها فى مراكزها المتحركة على جانب من السهولة خاصة ، وأن فروعها الرئيسية الثلاثة وهى : مضر وقيس وربيعة ، المتشعبة بدورها إلى مجموعات متداخلة حيناً ومتباعدة حيناً أخر وربما أفقدت القبيلة وحدتها بعد أن نأى العهد بين الأصل والفروع منها .

إن المحاولة من الدراسة السابقة ، لا نقصد بها التعرف على أنساب القبائل فى الحجاز، بقدر ما نقصد من ذلك ، الاهتمام بالتعرف على مناطق التحركات القبلية فى البادية ، خارج المناطق الحضرية ، كما يهمنا الوقوف ، من ناحية أخرى ، على العلاقة بين البادية والحضر ، ومدى التأثير الذى مارسه كلاً منهما فى الحياة السياسية والاقتصادية فى الحجاز ، والتى كانت مكة المكرمة توجهها فى ذلك الوقت ، حيث كانت زعيمة لقبائل العرب فى وسائل التجارة والدين قبل ظهور الإسلام ، لم أظهر رجالها من كياسة ومهارة ضمنت لهم الاستمرار لهذا التميز، وعلى أيديهم تفتحت واتسعت آفاق عصر جديد فى تاريخ التجارة فى شبه الجزيرة العربية ، حيث كانت التجارة فى شبه الجزيرة العربية تقتصر على عدد من الأسواق الداخلة تبدأ عند هَجَر والمُشَقَّر على ساحل الخليج وتتوالى بعد ذلك فى نسق من موضع إلى موضع من شرقى الجزيرة إلى جنوبها حتى عدن ، ثم تصعد إلى مكة المكرمة .

هناك تجمعات قبلية أخرى ، أقل أهمية ، حيث كانت لها إقامة كاملة

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٠١ .

(٢) نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٠١ وكذا جواد على ٤/٥٢٠.

(3) Ency.Of Islam, I , 329.

أو متفرعة على طول الحجاز وعرضه ، وعلى تخومه ، ومن هذه القبائل ، كانت عنزة [1] ،والتى تعد من القبائل العربية الكبيرة ، ولها بطون عديدة فى الحجاز ، حيث أستقر نفوذها جهات خيبر [2] ، أما قبيلة عبد القيس [3] ، فقد امتدت ما بين تهامة والبحرين عبر اليمامة ، حيث اتصلت على الأرجح بتجارة الخليج ، التى كانت تنتقل عن هذا الطريق إلى مكة المكرمة [4] ، أما الثالثة فقد كانت بكر بن وائل [5] ، والتى انتقلت من تهامة إلى شرقى شبه الجزيرة العربية وغربى الفرات فى العراق[6] ، أما الأخرى فقد كانت بنو حنيفة [7] ، وهى من بكر بن وائل من العدنانية ، وكانت منازلهم اليمامة ، التى كان من الصعب فصلها جغرافياً أو قبلياً عن إقليم الحجاز [8] ، ولا سيما فى تلك المرحلة التى يمكن تسميتها بالعصر الذهبي الأول للحجاز ، فقد توثقت عرى الاتصال وتداخلت المصالح بين مكة المكرمة ، والنقطة المركزية فى شبه الجزيرة العربية وبين هذه الأطراف المتشابكة معها ، سواء تهامة فى الغرب أو اليمامة فى الشرق ، ولعل ذلك يتفق مع عبارة البعض : " وديار العرب هى الحجاز التى تشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها ونجد والحجاز المتصل بالبحرين " [9] ، وبالنسبة لقبيلة بنى حنيفة ، فقد سيطرت على مرافق اليمامة الحضرية منها والبدوية ، حيث يرى فيها أحد الباحثين [10] ، أنها كانت دولة عربية أو مملكة [11] ولياً ماكان الأمر ، فإن الموقع الذى نزلت به بنو

---

(١) عنزة بن أسد بن ربيعة . انظر القلقشندى : أنساب الاشراف ٢٠/١ ؛ جواد على ٤٨٢/٤ .

(٢) نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٤١ .

(٣) عبدالقيس بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار المشهورة . انظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب ٤٦٩/٢ .

(٤) نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٣٠٧ .

(٥) ابن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمى بن جديله بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انظر : نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ١٦٩ .

(٦) جواد على ٤٨٤/٤ – ٤٨٧ .

(٧) بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر : نهاية الأرب للقلقشندى ، ص ٢٢٣ .

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨٠ .

(٩) ابن المجاور : تاريخ المستبصر ٣٩/١.

(١٠)رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار الفرابى للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .

(١١) يرى البعض أنها كانت على غرار دول الأطراف (الغساسنة والمناذرة) وكانت لها علاقاتها بالفرس وبإمارة الحيرة الخضيرة . أنظر : سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ وكذا محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥٥٦ – ٥٩٧

حنيفة ، كان على جانب كبير من الأهمية ، يؤهلها لـدور تجـارى بـارز قـد لا يختلـف كثيراً عن الدور الذى شغلته تدمر ، فهى من جهة تطل علـى تجـارة الخليـج العربـى ، حيث يبدأ الطريق من الحجر [1] ثـم اليمامـة مـاراً بمكـة المكرمـة [2] . ولقـد كـانت الحجر تتصل شرقاً بالبحرين حيث بنـى تميـم ، وجنوبـاً بـأطراف اليمـن والحجـاز ، وشرقاً وبأرض نجد ، كما إنها كانت كلـها بـلاد نخـل وزرع ، الأمـر الـذى أعطاهـا ذلك الطابع المتجانب بين البـداوة والاسـتقرار [3] .

وهكذا تبدو اللوحة القبلية فى الحجاز متناسـقة الخطـوط ومتفقـة الألـوان ، إن لم يكن فى منحدرات أصولها ذات التشعب الفطـرى الواسـع ، ولكـن فـى ظروفـها الجغرافية والاقتصادية المتشابهة ، بحيث لاتجـد تبايناً كبـيراً بيـن مـاهو شـائع عـن وجود نمطين مختلفيـن تمامـاً فـى المجتمـع الحجـازى ، أحدهمـا حضـرى والآخـر بدوى ، وإذا كان لابـد مـن الاعـتراف بوجـود نمـاذج أكـثر تطـوراً فـى المـدن المعروفة ، فإن ذلك لاينفى وجود نماذج أخرى ، تقـترب منـها أو تلتقـى معـها، عنـد حد معين ، من ذهنية عامة مشتركة ، كنظـام إجتمـاعى متقـارب .

ولم تكن البداوة الحجازية فى مطلـق الأحـوال إلا مظـهراً لنظـام حيـاتى ، فرضته البيئة بشتى ظروفها ، حيث إنـها تكـون مرادفـة للتخلـف ، مناقضـة للتحضـر الذى يتلازم و الاستقرار فى المدن، حسـب المفـهوم السـائد لـهذه الكلمـة ، فلابـد أن يصتدم ذلك مع تغلب البداوة فى شبه الجزيرة العربيـة وتطـور أنظمتـها ، التـى أخـذت تتبلور فى هذا الإتجاه منذ القـرن السـادس الميـلادى ، حيـث شـهد الغـرب صعـوداً

---

(١) مدائن صالح ، تقع على مسافة ١٥ كيلومتر إلى الشمال من مدينة العلا الحالية ، على الطريق التجـارى الـهام الـذى يربـط جنوب شبه الجزيرة العربية بسوريا . أنظر : عبد الرحمن الأنصارى ، المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٢) جواد على ٣٤٤/٧ .

(٣) زكريا بن محمد القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، تصنيف زكريا بن محمد القزوينى ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ص ١٣١ وكذا خليل إسماعيل محمد : " تطور الفكر الجغرافى عند المسلمين " ، مجلة البلاغ ، العدد السادس ، ١٩٦٦، ص ٤٠ وكذا سعد زغلول عبدالحميد :المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

للبداوة تزامن مع صعودها الشمالي [1] ، في الوقت الذي يفترض أن هذه المرحلة من التخلف قد تجاوزت نفسها ، استناداً إلى المفهوم نفسه .

إن قريشاً في مجموعها كانت قبيلة ناجحة وسط القبائل عرفت كيف تهيء لنفسها مكاناً صدراً بين القبائل في شبه الجزيرة العربية كلها قبل الإسلام ، وكان نظامها الداخلي يجمع بين النظام القبلي وبعض خصائص الحضر ، وقد أفاد القرشيون من النظام القبلي وما تأتى عن إستقراهم في مكة من خصائص الحضر ، وعرفوا كيف يسوسون بلادهم ويقومون بمسؤلياتهم تجاه التجارة وتجاه الكعبة ، وأفادوا من الوجهين أكثر الفائدة [2] .

وهكذا تصبح قبائل شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وكأنها ولايات ترتبط بشئ من المركزية مع مكة المكرمة ، عاصمة بلاد الحجاز المزدهرة ، دون أن تكون معزولة في خيامها البائسة أو علي ارتحال دائم بحثاً عن الكلأ والماء في الصحراء المجدبة ، لقد كانت خلافاً لذلك ، تعيش علي أبواب حضارات قديمة ، تطل عليها من نقاط وجودها شبه الدائمة و المستقرة ، أما علاقاتها بمكة المكرمة ، فلم تكن ذات مضمون احتكاري حسب اعتقاد Lammence [3] ، ولكنها ارتبطت معها بمواثيق ومعاهدات تجارية وأمنية [4] التي كانت تعبيراً ملحاً عن الحاجة المتبادلة بين الطرفين ، فجميع هذه المؤشرات صبت دون ريب في أهمية الدور الذي مثلته القبائل البدوية في الحجاز وتوابعه، ذلك الدور الذي تبلورت مع حركة الفتوح الإسلامية، حيث هؤلاء البدو ، مادة الأكثرية من الجند ، التي رافقت الطلائع المبكرة لهذه الجيوش من مسلمي المدن الحجازية[5] .

---

(١) رضوان السيد : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .

(3) Lammence , H.,La Republique Marchande De La Mecque , Beyrouth, P.P . 52,54.

(٤) قد عقدت قريش معاهدات مع أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية مع شيوخ قيس وأقيال اليمن وأمراء اليمامة وملوك غسان والحيرة ، وكانت هذه المعاهدات تسجل في مهارق وصحف أو على الأديم . أنظر : السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص٣٥٩ .

(٥) خالد طه الهاشمي : " خالد بن الوليد " ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٣٣٤هـ ، ص ١٦٥٤ وكذا صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ١٢٣ .

ومن الواضح أن مكة المكرمة ، بحكم موقعها في طريق تجارة الطيب والغلال وأنواع الأقمشة ، والتي كانت تجارتها تشهد نمواً متزايداً في ذلك الحين ، ومن ثم فقد كانت ذات مركز استراتيجي ممتاز ، حيث استطاعت أن تمسك بزمام الأمور في المنطقة المحيطة بها سواء في تهامة أو نجد ، فضلاً عن الحجاز واليمامة وأن تهيئ الأرض الخصبة لتأصيل علاقاتها مع تلك القبائل ، خاصة الدائرة في فلك نفوذها المباشر ، وذلك على امتداد خطوات رئيسية أو فرعية ، تجمعت حولها مصالح دول كبرى [1] ، لم تكتف بالضرورة عند حدود المتاجرة بالسلع ولكنها صدرت معها الأفكار والعقائد والنظم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ووهم بعض المؤرخين في إدارج مكة مدراج القبائل من أحياء العرب ، وحسب آخرون أنها كانت نزلة يمضي عليها بما يمضي على نزل العرب وقراهم في آفاق شبه الجزيرة العربية ، ولكن شيئاً من الاستقراء ينتهي بنا إلى غير هذه النتيجة ، فالقرآن الكريم سماها في أكثر من مرة " أم القرى " ، وفي هذا مايشير إلى ميزتها في مستوى من حولها من منازل شبه الجزيرة العربية [2] .

---

(١) إن إقبال بريطانيا الشديد وتهافتها على منتجات الهند والصين ، لم تصرفهم عن الإستعانة بالتركيين كوسطاء للتجارة الهندية . أنظر : السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) أحمد السباعي : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

الطرق التجارية في الحجاز والتوزيع القبلي في عصر ما قبل الإسلام

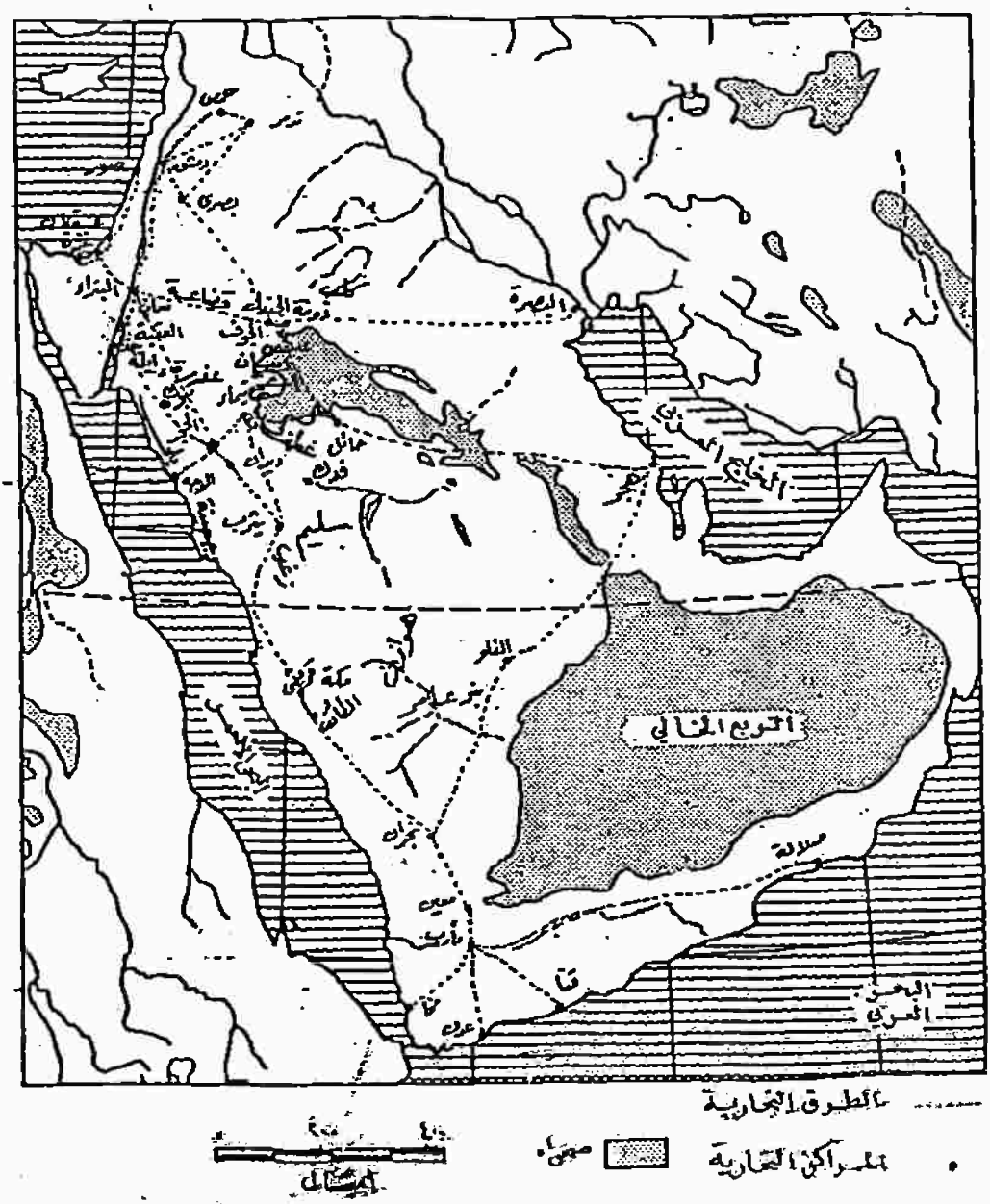

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

(١) ابن الأثير (أبو الحسن بن علي بن الكرم محمد الشيباني) : الكامل في التاريخ ، الجزءان الأول والثاني ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(٢) ابن الكلبي (أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي) : كتاب الأصنام ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٣) ابن المجاور (يوسف بن يعقوب) : تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ، مطبعة بريل ، ليدين ١٩٥١ .

(٤) ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي) : كتاب المحبر ، حيدر أباد الدكن ١٩٤٢ .

(٥) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) : جمهرة أنساب العرب ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، الجزءان الأول والثاني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

(٦) ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم محمد) : كتاب صورة الأرض ، بيروت ١٩٦٣ م .

(٧) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(٨) ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلاق النفيسة ، ليدين ١٨٩٢ م.

(٩) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : المعارف ، حققه وقدم له د. ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م.

(١٠) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، المجلد الثاني عشر ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

(١١) ابن هشام (أبو محمد عبد الله بن أيوب الحميري) : السيرة النبوية ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفي السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الجزءان الأول والثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون) .

(١٢) إحسان عباس : " العلاقات التجارية بين مكة والشام حتي بدايات الفتح الإسلامي " ، مجلة الأبحاث ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ١٩٩٠ م.

(١٣) أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ م.

(١٤) أحمد السباعي : تأريخ مكة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، مطبوعات نادي مكة الثقافي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م .

(١٥) أحمد محمود صابون : " حول تأريخ اليهود بلاد الحجاز " ، مجلة كلية الأداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الثاني والأربعين ، ١٩٩٤ - ١٩٩٥ م .

(١٦) ———— : مكة المكرمة ، أسماؤها وتأريخها ، الإسكندرية ١٩٩٥ م .

(١٧) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .

(١٨) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الهيثم) : الأغاني ، الجزء الرابع ، بيروت ١٩٥٦ م .

(١٩) الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي) : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصلح محسن ، الجزءان الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٣٨٥ هـ /١٩٦٥ م .

(٢٠) البكري (عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عارض بمخطوطات القاهرة ، حققه وضبطه مصطفي السقا ، جزءان ، عالم الكتب، بيروت (بدون) .

(٢١) البلاذري (أحمد بن يحيي) : أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميدالله ، القاهرة ١٩٥٩ م .

(٢٢) الديار بكرى : تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفيس ، الجزء الثانى ، القاهرة ١٣٠٢ هـ .

(٢٣) الزبيدى (أبو الفيض مرتضى بن محمد) : تاج العروس ، الجزءان الأول والثانى ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٣٠٦ هـ .

(٢٤) السمهودى (نور الدين على) : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(٢٥) السهيلى (عبد الرحمن بن عبد الله) : الروض الآنف ، القاهرة ١٩٧١ م .

(٢٦) السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ماقبل

الإسلام ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .
(٢٧) السيد عبيد مدنى : " آطوم المدينة المنورة " ، مجلة كلية الأداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثالث ، الرياض ١٣٩٣ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م .
(٢٨) الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) : تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ، الجزءان الأول والثانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار سويدان ، بيروت ١٣٨٧ - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م .
(٢٩) الفاسى (أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، الجزء الثانى ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
(٣٠) القلقشندى (أبى العباس أحمد بن على أحمد بن عبد الله القلقشندى) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩١٣ م .
(٣١) ـــــــــــــــ : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
(٣٢) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٥ م .
(٣٣) المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦ م .
(٣٤) الهمذانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الإكليل ، جزءان :
الأول : تحقيق محمد بن على الأكوع ، القاهرة ١٩٦٣ م.
الثانى : تحقيق محمد بن على الأكوع ، القاهرة ١٩٦٦ م.
(٣٥) اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر) : تاريخ اليعقوبى ، مجلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .
(٣٦) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الأجزاء :
الأول : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ .
الرابع : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ .
السادس : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٠ .
السابع : الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧١ .

(٣٧) حسين مؤنس : تاريخ قريش ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٣٨) خالد طه الهاشمي : "خالد بن الوليد " ، مجلة الرسالة ، العدد ٦٦ ، ١٣٣٤هـ .

(٣٩) خليل إسماعيل محمد : " تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين " ، مجلة البلاغ ، العدد الثالث ، ١٩٦٦ م .

(٤٠) رضا جواد الهاشمي : " تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

(٤١) رضوان السيد : الأمة والجماعة والسلطة ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ١٩٨٤ م .

(٤٢) زكريا بن محمد القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد : تصنيف زكريا بن محمد القزويني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م.

(٤٣) زكي شنودة : اليهود ، القاهرة ١٩٧٤ م.

(٤٤) سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٧٦ م.

(٤٥) صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩ م.

(٤٦) عباس محمود العقاد : مطلع النور ــ أو طوالع البعثة المحمدية ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٦٨ م.

(٤٧) عبد الجبار منصى العبيدي : " حروب الفجار : أسبابها ونتائجها " ، المؤرخ العربي ، العدد العاشر بغداد ١٩٧٩ م.

(٤٨) عبد الرحمن الأنصاري : " لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية " ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٤٩) عبد الكريم بن محب الدين القطبي : إعلام العلماء والأعلام ببناء المسجد الحرام ، علق عليه أحمد محمد جمال وعبد العزيز أحمد الرفاعي ود.عبد الله الجبوري ، الطبعة الأولى ، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

(٥٠) عبد المحسن الحسيني : " الأقسام الجغرافية لشبه جزيرة العرب ، كما تصورها المصادر العربية " ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، المجلدان السادس والسابع ، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ م .

(٥١) عبد المنعم عبد الحليم سيد : " البخور عصب تجارة البحـــر الأحمـــر فـــى العصـــور القديمة "، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المجلد الثـــانى ، جدة ١٤٠٢ هـــ / ١٩٨٢ م.

(٥٢) لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، بـــيروت ١٩٧٩ م.

(٥٣) محمد الطيب النجار : " أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام " ، مؤتمـــر قدسية الحرمين الشريفين ، المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية ، القـــاهرة ٢٣ - ٢٥ ربيع أول ١٤٠٨ هـــ / ١٥ - ١٧ نوفمبر ١٩٨٧ م .

(٥٤) محمد بيومى مهران : إسرائيل ، الكتاب الأول ــ التاريخ ، الإسكندرية ١٩٧٨ م.

(٥٥) ــــــــــــ : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الطبعـــة الثانيـــة ، الريـــاض ١٤٠٠ هـــ ، ١٩٨٠ م .

(٥٦) ــــــــــــ : دراسات تاريخية من القرآن الكريم (١) ، فـــى بـــلاد العـــرب ، الرياض ١٤٠٠ هـــ / ١٩٨٠ م.

(٥٧) محمد رشيد العقيلى : اليهود فى شبه الجزيرة العربية ، عمان ١٤٠١ هـــ / ١٩٨٠ م.

(٥٨) محمد عبد الغنى سعودى : الجغرافية والمشكلات الدولية ، دار النهضة العربية ، بيروت (بدون) .

(٥٩) محمد عزة دروزة : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، بيروت ١٣٨٩ هـــ / ١٩٦٩ م.

(٦٠) منذر البكر : " العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الرومانى " ، المربد ، العدد ٤ ، السنة الثالثة ١٣٩٠ هـــ / ١٩٧٠ م .

(٦١) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموى) : معجم البلـــدان ، خمسة أجزاء ، بيروت ١٩٦٨ م.

ثانيا : المترجمة إلى اللغة العربية

(٦٢) الويس موسل : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحســـينى ، الإســـكندرية ١٩٥٢ م.

(٦٣) لاندو : الإسلام والعرب ، ترجمة منير البعلبكى ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٦٤) لويس أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، ومراجعة محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م.

ثالثاً : الأجنبية :

(65) The Encyclopedia of Islam , New Edition , edited by Lewis C.H., Pellat J., Schacht , Leidene J.,Brill – London Luzae and Co., 1960 .

(66) Gibbon, E., The Decline and Fall of the Roman Empire , London, 1950 .

(67) Gractez, H., The History of the Jews, III, Philadelphia, 1956 .

(68) Huzayyin, S.A., Arabia and the Far East, Cairo, 1942.

(69) Lammence , H.,L'Arabie Occidentale avant L'Hegire, Beyrouth, 1928 .

(70) _____ , La Mecque a la Veille de L'Hegire, Beyrouth , 1928.

(71) _____ , La Republique Merchande de la Mecque, Beyrouth , 1910 .

(72) _____ , La Ville Arabe de Taif a la Veille de L'Hegire, Beyrouth , 1922 .

(73) Montgomery, J.A.,Arabia and the Bible, Philadelphia, 1934 .

(74) O'Leary, De Lacy, D.D., Arabia before Muhammad, London, 1927 .

(75) Osman, R.,Rock Inscriptions in the Hijaz, Cairo, 1948 .

(76) Watt, W.M., Muhammad at Mecca, Oxford, 1953 .

(77) _____ , Muhammad at Madina, Oxford, 1956 .

(78) Winckler, H., " Zur Alten Geschichte Yemens and Abessiniens ", AOF, IV, 1896 .